

روح المعاني

إما للعهد ووضع الظاهر موضع المضمرة إيدانا بأن ما حكى عنهم من باب الإحسان وإما للجنس وهم داخلون فيه دخولا أوليا وفيه على كلا التقديرين ترغيب للمؤمنين في تحصيل ما حكى من المناقب الجليلة .

يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا شروع في زجر المؤمنين عن متابعة الكفار بيان مضارها إثر ترغيبهم في الإقتداء بأوصياء الأنبياء عليهم السلام ببيان فضائله وتصدير الخطاب بالنداء والتنبيه لإظهار الإعتناء بما في حيزه ووصفهم بالإيمان لتذكيرهم بحال يناه في تلك الطاعة فيكون الزجر على أكمل وجه والمراد من الذين كفروا إما المنافقون لأن الآية نزلت كما روى عن علي كرم الله تعالى وجهه حين قالوا للمؤمنين عند الهزيمة : أرجعوا إلى إخوانكم وأدخلوا في دينهم والتعبير عنهم بذلك قصدا إلى مزيد التنفير عنهم والتحذير عن طاعتهم وإما أبو سفيان وأصحابه وحينئذ فالمراد بإطاعتهم الإستكانة لهم وطلب الأمان منهم وإلى ذلك ذهب السدي وأما ليهود والنصار فالمراد حينئذ لا تنتصحو اليهود والنصارى على دينكم ولا تصدقوهم بشيء في ذلك وإليه ذهب ابن جريج وحكى أنهم كانوا يلقون إليهم الشبه في الدين ويقولون : لو كان محمد صلى الله تعالى عليه وسلم نبيا حقا لما غلب ولما أصابه وأصحابه ما أصابهم وإنما هو رجل حاله كحال غيره من الناس يوما عليه ويوما له فنهوا عن الإلتفات إليها وإما سائر الكفار .

وذهب إلى جواز ذلك بعض المتأخرين وأتى بأن للإيدان بأن الإطاعة بعيدة الوقوع من المؤمنين .

يردوكم على أعقابكم أي يرجعوكم إلى أول أمركم وهو الشرك بالله تعالى والفعل جواب الشرط .

وصح ذلك بناء على المأثور عن علي كرم الله تعالى وجهه مع أن الكلام معه في قوة إن تطيعوا الذين كفروا في قولهم : أرجعوا إلى إخوانكم وأدخلوا في دينهم يدخلوكم في دينهم ويؤل إلى قولك : إن تدخلوا في دينهم تدخلوا في دينهم وفيه إتحاد الشرط والجزاء بناء على أن الإرتداد على العقب علم في إنتكاس الأمر ومثل في الحور بعد الكور وقيل : إن المراد بالإطاعة الهم بها والتصميم عليها أي إن تصمموا على إطاعتهم في ذلك تردوا وترجعوا إلى ما كنتم عليه من الكفر وهذا أبلغ في الزجر إلا أنه بعيد عن اللفظ وجوز أن تكون جوابيته بإعتبار كونه تمهيدا لقوله تعالى : فتنقلبوا خاسرين 941 أي فترجعوا خاسرين لخير الدنيا وسعادة الآخرة وذلك أعظم الخسران بل الله مولاكم إضراب وترك للكلام الأول

من غير إبطال والمعنى ليس الكفار أولياء فيطاعوا في شيء ولا ينصرونكم بل انا ناصركم لا غيره وهو مبتدأ وخبر وقرية بنصب الأسم الجليل على أنه مفعول لفعل محذوف والمعنى فلا تطيعوهم بل أطيعوا انا مولاكم وهو خير الناصرين 051 لأنه القوي الذي لا يغلب والناصر في الحقيقة فينبغي أن يخص بالطاعة والإستعانة والجملة معطوفة على ما قبلها .

وجوز على القراءة الشاذة الإستئناف والحالية سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب كالبيان لما قبل وعبر بنون العظمة على طريق الإلتفات جريا على سنن الكبرياء لتربية المهابة والسين لتأكيد الإلقاء و الرعب بسكون العين الخوف والفرع أي سنقذف ذلك في قلوبهم والمراد من الموصول أبو سفيان وأصحابه فقد أخرج ابن جرير عن السدي قال : لما أرتحل أبو سفيان والمشركون يوم أحد متوجيهم نحو مكة أنطلق أبو سفيان حتى بلغ بعض الطريق ثم إنهم ندموا فقالوا : بئس ما صنعتم إنكم قتلتموهم حتى إذا لم يبق إلا الشريد